جمالية الموت في خطاب الإمام الحسين عليه السلام

(دراسة نسقية)

م.د. عيَّاد حمزة شهيد الويساوي

م.د. أسعد مكي داود

وزارة التربية/ الكلية التربوية المفتوحة – مركز بابل الدراسي

gan162gna@gmail.com

المستخلص

وقفَ الانسانُ منذُ الأزلِ وقفةَ حيرةٍ وتأملٍ واندهاشٍ امامَ الموجودات (المحسوسات) وفاقًا لمجال إدراكه وقدرته الطبيعيَّة الفطريَّة فلم يكُنْ بإمكانِه تعليل الظواهر المختلفة بمعزلٍ عن وجودِه، لذا نجدهُ غالباً ما يستسلم لِما يراه هذا بدءاً، وكانَ الموتُ أحدَ هذه الموجودات التي عجزَ البشرُ عن استيعابها.

وفي مرحلةٍ تاليةٍ ومع تقدم البشرية نجدُ الإنسانَ يحاولُ أنْ يُعلِّل ويربط الأسباب بالمُسبِّبات، هذه مرحلة مِن مراحل تطور العقل البشريّ، التي حاول بها أن يربطَ الموتَ بوجودِه، لذا نرى الموت موضوعة ثقافية تبعاً للمجتمعات ورؤاها ودرجة تحضرها وتمدنها وبداوتها، ونسقها الثقافيّ التي جُبلت عليه، ومن ثمَّ أضحت منبعًا له في استمراريته وديمومته. لذا فالموت ذلك المخلوق الذي نهابه ونخشاه ونفرّ منه ما هو إلَّا رحلة واقعة لا محاله، فالسؤال الجوهري كيف يتم استقباله؟ لذا فاختيار هذا العنوان بدقة وموضوعية في فكر الإمام الحسين (ع) لأنَّه مغايرًا عن المألوف السائد، وتطبيقًا للرؤية القرآنية وسيرة الرسول وأمير المؤمنين والزهراء عليهم السلام.

ولم نتبعْ في هذا البحث مِن الخُطط المنهجيَّة القائمة على المباحث وما قاربها، بل اعتمدنا في جوهر البحث على التتابع النسقي لنص الخطبة التي وردت في موسوعة "كلمات الإمام الحسين والتي اعتمدت في مرجعيتها على مجموعة من المصادر القديمة في إثباتها، لذا جاء البحثُ ليتتبع الكلمات التي قالها الإمام الحسين نسقيًا واحدة تلو الأخرى.

الكلمات المفتاحية: جمالية الموت، الخطاب، الإمام الحسين، فلسفة الوجود.

The Aesthetics of Death in the Discourse of Imam Hussein (peace be upon him) (A Systematic Study)

Dr. Ayad Hamza Shahid Al-Waisawi

Dr. Asaad Makki Daoud

Ministry of Education/Open Education College – Babylon Study Center

gan162gna@gmail.com

Abstract

Since time immemorial, humankind has stood in awe, contemplation, and wonder before the tangible world, according to the limits of its perception and innate capacity. It could not explain various phenomena in isolation from its own existence. Therefore, we often find people resigned to what they perceived as the beginning. Death was one of these phenomena that humanity was unable to comprehend.

In a later stage, as humanity progressed, we find humankind attempting to explain and connect causes and effects. This is a stage in the development of the human mind, in which it tried to link death to its own existence. Thus, we see death as a cultural theme, varying according to societies, their perspectives, their level of civilization and urbanization, and their inherent cultural framework. This framework then became the source of death's continuity and perpetuation.

Therefore, death, that creature which we fear, dread and flee from, is nothing but an inevitable journey. The essential question is how to receive it? Therefore, this title was chosen accurately and objectively in the thought of Imam Hussein (peace be upon him) because it is different from the prevailing norm, and in application of the Qur'anic vision and the biography of the Messenger, the Commander of the Faithful and Fatima, peace be upon them.

In this research, we did not follow the systematic plans based on research and what is close to it, but rather we relied in the essence of the research on the systematic sequence of the text of the sermon that came in the encyclopedia "Words of Imam Hussein" which relied in its reference on a group of ancient sources in proving it. Therefore, the research came to follow the words that Imam Hussein said systematically one after the other.

Keywords: Aesthetics of death, discourse, Imam Hussein, philosophy of existence

بسم الله الرحمن الرحيم

بسمِ الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي أنارَ بمحمَّدٍ وآله آفاق أهل الأرض حتَّى اهتدوا مِن بعد ضلالةٍ وشقاء، والصلاة والسلام على خير رسله محمَّد الآمين وعلى أهل بيته وصحبه ومَن والاهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أمَّا بعدُ..

يُمكن دراسة أي خطاب بوصفه بُنية متكاملة من الأفكار والرؤى التي يقدمها صاحبها؛ لتكون مُعبِّرًا عنه وعن فلسفته ووجود في الحياة بما هو منطوق بدءًا، وما هو مكتوب تاليًا؛ لتصبح لدينا موضوعة مُحدَّدة بحدود الرؤية البصريَّة التي تتلقاها العين من خلال الكتابة التي أُثبتت بعيدًا عن الطرق التي كُتبت بها، كأن تكون إملاءً أو مشافهةً أو بخطِ اليد نفسه، أو نقلًا عن مصادر أخرى – كما هو موضوع خطبة الإمام الحسين (ع).

وهذا الخطاب يوصف بأنَّه مُنتجٌ ثقافيٌّ له ظروفه التاريخيَّة والاجتماعيَّة والدينيَّة والسياسيَّة التي أنتجته بهذه الصيغة المُحدَّدة، وقد رأينا وفاقًا لنص الخطبة المكتوب أنَّه صالحٌ لأن يُدرَس بأكثر مِن رؤية، وقد اخترنا في هذه المقاربة موضوعتين **(الموت/ الجماليَّة)** لنستقرأها في كلام الإمام نفسه؛ لأنَّ هذا الموضوع لم يُدرَس ولم يُقارَب مِن قبل في خطاب الإمام الحسين عليه السلام، بل كانت هناك دراسات متنوِّعة سواء في موضوعة الموت أو الجماليَّة على حدٍّ سواء في خطابات وظواهر مُتعدِّدة ومتنوِّعة في مختلف العصور، وكان للبحث منهجية يسير عليها، بدءًا من المقدّمة وختامًا بقائمة المصادر والمراجع، وفي طيات البحث مجموعة من المُقدَّمات التي توصف بكونها أساسيات منهجية كهدف البحث ومنهجه وأسئلته ومشكلته وحدوده التي يتكأ عليها.

ومن ثمَّ مقاربة الموضوع (الجمالية والموت) فلسفيًّا، ومقاربة موضوعة الموت في التراث العربي والإسلامي بصورة موجزة.

ومن ثمَّ مقاربة الموضوع بالرؤية النسقيَّة لنص الخطبة وتبيان العديد من البنى النسقيَّة التي تثبت مغايرةَ خطاب الإمام الحسين لما هو سائد ومألوف من الرؤى السابقة وتفرد أهل البيت عمومًا بهذه الرؤية والإمام الحسين خصوصًا.

هدف البحث

نحاول مقاربة موضوعة الموت كنسق وجود/ تلاشي حتمي في فكر وفطرة الإنسان مِن خلال خطاب الإمام الحسين (عليه السلام)، وتهدف الدراسة إلى محاولة إثبات إنَّ الموتَ في فكرِ الإمام الحسين هو جماليةٌ ووجود وتجلٍ معرفي بوعي وبصيرة.

المنهج المتبع:

لكلِّ بحث منهجية خاصَّة به، وهي كيفية ترتيب الموضوعات محور البحث، ولكن للبحث نفسه منهج فكري في التناول والتحليل، لذا استعنتُ بمنهج وصفيّ لخطاب الإمام (ع) بتحليل نسقيّ يُبين البعد الثقافيّ الذي أسعى لإثباته.

أسئلة البحث

يحاولُ البحث الإجابة عن أسئلة منها:

ما هي رؤية الموت وفاقًا للفلسفة الماديَّة والمثاليَّة؟ ومِن ثمَّ كيف نظرت الثقافة العربيَّة للموت؟، وكيف وجَّه النسق الإسلاميّ الموت بعقول المسلمين عمومًا؟.

وبعدها الموتُ وفاقًا لرؤية الامام الحسين (عليه السلام) هل أختطَّ له نسقاً مغايراً عن الثقافة العربية والإسلامية أم تابعهما؟ ولماذا؟، وهل خرج الحسين ليُقتَل أم ليحيا؟، وهل أيقن القتل فكان متشوقاً لأسلافه؟، ولماذا الامام في خروجه أتى الى العراق ولم يذهب للشام حيث دولة الخلافة؟، وهل خرج الحسين ليقاتل، وهل قاتل، وما حكم مَنْ يُقتَل ولم يقاتل؟

هذا أبرز ما نحاول الإجابة عليه في هذه الأوراق البحثية.

مشكلة البحث:

يحاول البحث معالجة فكرة أنَّ الموت يمثل فكرة الاختزال والتلاشي والاضمحلال التي يعيشها الفكر البشري عن طريق إثبات فرضية أخرى وهي فرضية أنَّ الموت جمال ومعرفة ووجود، وهو ما وجدناه حاضرًا في فكر أهل البيت عامة، والإمام الحسين خاصة.

حدود البحث:

هي حدّ الخطبة زمانيًّا ومكانيًّا التي قالها عليه السلام في الخروج من مكة.

الجماليَّةُ والموتُ في الميدان الفلسفيّ

في الميدانِ الفلسفي نجدُ أنَّ هذه الموضوعة تتحددُ من الثنائية الفلسفية (فكر/ مادة) فالاتجاه الذي يؤمن بأسبقية الفكر على المادة ينطلق مِن أنّ المعرفة تنطلق من الفكر والعالم تابع لهذا الفكر، ومن ثمَّ أصبح الوجود تابعاً للفكر ممَّا أدى إلى انفصال الأفكار وتعاليها عن الواقع.

عُدّ الموت وفاقًا لهذا المنظور فكرة مجردة تتصف بالمُطلقِ والتعالي، فأصبح الموتُ شيئاً في ذاتِه، وتحول الى موضوعٍ تأملي صرفٍ، لذا اختلفتْ نظرةُ الفلاسفةِ إليه وفاقاً لمنطلقاتِهم.

أمّا الاتجاه الذي يؤمنُ بتصدرِ المادة على الفكرِ، يقررُ بأنَّ المعرفةَ تنطلقُ مِن العالمِ، وهو ما يجعل الفكر تابعًا للعالم، فتحديد المعاني والمفاهيم تعتمدُ في التدقيقِ في العالمِ وملاحظتِه، أي عدم الاعتماد على الفكر.

لذا فالموت وفاقاً لهذا المنظور وجوداً موضوعياً، إذْ أنّه يتصل بكينونة الأشياء ويتعين فيها.

الرؤية العربية للجمالية والموت

المنظور العربي قبل الإسلام تجاه هذه الثنائية (الموت/ الحياة) فالقضية قضية صراع على تقديرٍ مبسط، فالموت شكّل نسقاً بارزاً في هذه المنظومة القبلية، لأنّ فيه معاني الغيبيات ومعاني السلب والانتهاء والاضمحلال فوجود الفناء يتحقق بالموت لذا وقفوا مسلوبي الإرادة أمامَ هذا الوجود الذي يتعين منظوراً اليه في تجلياتهم الحياتية للموجودات.

في الجاهلية

لذا نجدُ معاني الضعف أمامَ هذا الموجود في الجاهليَّة بمحاولةِ التعليل خيرُ دليلٍ لهذا هو المرثيات ومراسم العزاءِ التي دونّها الشعر الجاهلي؛ لتمثل عجزه وحيرته وتساءله أمام هذا الغامض والمحير لكونه غير مرئي وغير محسوس يصوره الشاعر عمر بن القميئة:

فلو أنها نبلٌ إذاً لاتقيتها ولكنني أُرمى بغير سهامِ [1]

[1]) ديوان عمرو بن قميئة، عني بتحقيقه وشرحه: خليل إبراهيم العطية، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط2، 1997، ص: 37.

وهذا الموت الذي يتصل بالغيب لا تنفع معه تميمة (تعويذة) ولا سحر ولا بروج مشيدة لذا صورّه أبو ذؤيب الهذلي بقوله:

وإذا المنيةُ أنشبتْ أظفارها ألفيتُ كلَّ تميمةٍ لا تنفْعُ [2]

فأثار الموت شاخصة أمام الانسان في العصر الجاهلي من الأطلال واندثارها أي غياب الماء وقلة المرعى وهلاك المواشي والإغارة بين القبائل وعدم الاطمئنان والخوف من المجهول جعلت الشاعر يستلهمها في قصائدِه ويصورها مِن خلال المقدمات ورحلة حمار الوحش والثور والانسان ومآله الحتمي نحو نهاية محددة.

الموت في الرؤية الإسلاميَّة

ومع مجيء الإسلام تغيرت فلسفة الموت/ الحياة لتصبح المعادلة معكوسة مع عالم العرب وتصوراتهم قبل الإسلام، فأصبح المجتمعُ مترسخاً بجانب الإيمان والعقيدة التي بشرّ بها الإسلام بنزولِ القران فتغيرت تصوراتهم عن الموتِ وحقيقته المرعبة فبالإمكانِ القول أنّ الإسلام قد لطّف وحسّن من صورتِه المترسخة في عقولِ الناس خدمة للدين أولاً وإعلاء لموضوعةِ الجهاد وتعزيزاً لوجود الانسان وقيمته في الوجود ثانياً فرُتِب الناسُ وفقَ أعمالهم وخدمتهم للدينِ، فللشهيد درجة تختلف عن الاخرين، وللمهاجرين يختلفون عن غيرهم، ومَن آمن في بداية الدعوة ليس كمَن أُجبِر على الدخول في الإسلام فصنف الناس بتصنيف قرآني سماوي، الروح بعد تحررها من الجسد لها طريق واحد هو السماوات السبع وبعدها أمّا الجنة ومنازلها أو النار ومنازلها، لذا اصبح الانسان مخيراً أما أن يكون مؤمناً أو كافراً وكلاً يعرف مآله ومصيره، وآيات القرآن الدالة على الموت واضحة وصريحة وحُددت فيها مقاماته وسياقاته المختلفة المناسبة ووعد الله للمؤمنين ولغيرهم جلي من خلال السياق القرآني ومحدداته القولية. فقوله تعالى: **((كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ))** [3] حدّدها السياق القرآني بالعمومِ والشمولِ فلا تغادرُ هذا المعنى أيّ نفسٍ فالموت كتاب محتوم حكمَ اللهُ به البشرية وقهرهم لذا لا يجدون منه ملجأ ولا مهرب بدليل قوله جلّ جلاله: **((أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ))**[4]

([2]) شرح أشعار الهذليين، أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مراجعة: محمود أحمد شاكر، مكتبة دار العروبة، ط1، ص 40.

(3) (آل عمران:185)

4) (النساء:78)

لذا ظلتْ موضوعةُ الموتِ محيرةً للخلقِ جميعاً واختلفتْ الرؤى والأفكارُ التي تتناول القضية بحسب الرؤية والتوجه الذي ينطلق منه الانسان وخصّ اللهُ جلّ جلاله المؤمنين بقولِه: **((قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (6) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (7) قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (8)))**[5]

ولكن الطبيعة الإنسانية ووجود الانسان وتعلقه بمحيطه وبيئته وأهله جعلتْ الخطاب القرآني يحددُ سياقَ الموتِ (وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا) في حتميةٍ وجوديةٍ للحاضرِ والمستقبلِ بدلالةِ أداة النفي للحاضرِ والمستقبلِ وبدلالةِ ظرف الزمان المنصوب في استحالة تمني الموت.

هذا ما عبّر عنه القران فالموت وفق الرؤية القرآنية وبمعرفة نفوس المخاطبين وبأنَّه صالح لكل زمان ومكان صيرورة جُبِل الناس عليها دون رغبة منهم.

قراءة أخرى للموت من ناحية جمالية:

الموت خطاطة معرفية يكون لها وجود مستقل في كل ذات وهذا الوجود يكون نابعاً من الذوات أنفسهم بحسب نفسياتهم ووضعهم الاجتماعي وخلفيتهم المعرفية واتجاههم العقدي(العقائدي) فنرى البعض له نظرة في الموت تختلف عن الآخر تبعاً لِما ذُكر..

نحاول مقاربة هذه الموضوعة من خلال خطاب الامام الحسين عليه السلام في أنموذج الخروج من مكة فقط وما قاله الإمام من خطابات/نصوص ذات دلالة وسياق يحيل على متوالية نسقية من المعاني المترابطة لنوضح من خلالها رؤية الامام ومنظوره للوجود/الموت، لتصبح مقالات الامام خطاب نحاول أن نستنتج رؤيته وفق هدف الدراسة:

إرادة الخروج وخطبته عليه السلام

""(348) -131-ابن نما:

ولما أراد الخروج من مكة، طاف وسعى وأحلّ من إحرامه وجعل حجّه عمرة [6]؛ لأنّه لم يتمكنْ من إتمام الحجّ مخافة أنْ يقبض عليه"".

([5]) (سورة الجمعة: الآيات 6، 7، 8)

[6]() ينظر أيضاً تأريخ الطبري3: 295، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت310هـ، دار الكتب الإسلامية بيروت، 1304 هـ. وينظر: وقعة الطف 152 أبو مخنف لوط بن يحي الأزدي الغامدي الكوفيّ،ت 158 هـ جماعة المدرسين، قم، بتغيير بعض المفردات دون المعنى.

الاستهلال الأول لخروج الامام من مكة كان بداية واقعية يثبت فيها مدى ارتباطه الوثيق بتعاليم جده عليه الصلاة والسلام لذا قام بمناسك حجته الأخيرة **(الطواف حول الكعبة، والسعي بين الصفا والمروة، وقصّ من شعره ومَن ثمَّ قام بإحلال إحرامه)** الموجه اللافت للقارئ بدءاً هو **(جعل الحجة عمرة)** هذا من جانب ليؤوله؛ بـ **(لم يتمكن من إتمام الحج مخافة أن يقبض عليه)** وهذا استجابة واقعية لمرآته المستقبلية التي يريد الوصول إليها وهي: الوقت المعلوم لتنفيذ خطته المرسومة للإصلاح، فهو كذلك لم يجلّ إحرامه خوفاً من أن يقبض عليه فحسب، بل ولعلمه بأنهم سيقتلونه، فحلّ إحرامه خشية أن تنتهك بدمه الكعبة المشرفة وبيت الله.

وعدم الأمان الواقع(عليه) من قبل السلطة الحاكمة بدليل عدم إكمال المناسك والأمر الحاصل بإلقاء القبض عليه، فتجهض المسيرة الإصلاحية التي أُريد له القيام بها.

- **النسق الصوري الأول هو إيماني محض..(الحج)**

""(349) -132-وعنه:

وروي أنه عليه السلام لما عزم الخروج الى العراق، قام خطيباً فقال:

الحمدُ للهِ وما شاء اللهُ، ولا قوةَ إلاّ بالله، (وصلى الله على رسوله)، خُطَّ الموتُ على ولدِ أدمَ مخطَّ القلادةِ على جيدِ الفتاةِ، وما أولهني إلى اسلافي اشتياق يعقوب الى يوسفَ، وخيرَ لي مصرعٌ أنا لاقيهِ، كأنّي بأوصالي تُقطَّعها عسلان الفلواتِ بين النواويس وكربلاء، فيملأنَّ مني أكراشاً جوفاً وأجربةً سُغباً، لا محيصَ عن يومٍ، خُطَّ بالقلمِ، رضى الله رضانا أهل البيتِ، نصبرُ على بلائِهِ ويوُفّينا أُجورَ الصابرينَ، لن تشذَّ عن رسول اللهِ (صلى الله عليه واله وسلم) لُحمتُهُ، وهي مجموعةٌ لهُ في حظيرة القدسِ، تقرُّ بهم عينهُ وينجزُ بهم وعدُهُ، مَنْ كان باذلاً فينا مهجتَهُ، وموطَّناً على لقاءِ اللهِ نفسهُ فّلْيرحلْ معنا فإنّي راحلٌ مُصبحاً إنْ شاء اللهُ (تعالى)[7]""

(خُطّ الموت) أصبح الموت واقعة مادية ملموسة كنى عنها الامام بـ (الخط) الذي لا مفرَ منه والنسق المتجذر في الأشياء بوقوعها وهذا الأمر واقعاً لا محالةَ، ليكون كالعقد على

([7]) موسوعة كلمات الامام الحسين عليه السلام، معهد تحقيقات باقر العلوم منظمة الاعلام الإسلامي، دار الاسرة للطباعة والنشر، ط1، 1425هـ 397. وينقلها صاحب الموسوعة عن مصادره وهي: (مثير الاحزان :41، اللهوف:26، كشف الغمة 2 :29، بحار الانوار 44: 366، العوالم 17: 216، أعيان الشيعة 1: 593، معالي السبطين 1: 25.

جيد الفتاة وهنا الإشارة جمالية محضة فهو بهذا التصوير يقدم لوحة لرؤيته تختلف عن النسق الثقافي السائد الذي يرى الموت اضمحلال وتلاشي إلى عالم مجهول رغم الوعود الإلهية بالجنة والنار والصورة التي قدمها القرآن للموت صورة جميلة يتوجها العمل الصالح والايمان ولكن حتى الخطاب القرآني يصف رؤية المسلمين للموت بقوله: **((ولا يتمنونه أبداً))** في إشارة لحال بني البشر عموماً ولكن الامام يقدم لوحة مغايرة يرسخها الايمان بالله أولاً، ومعرفته لحقيقة هذا المجهول الذي لا مفرَّ منه وهو الموت ثانياً، وليثبت تمنيه للموت ثالثاً، وهذا لا يخالف النسق القرآني بقدر ما يدعّمه بأنه ليس من هؤلاء العوام، وأنّه (من أهل بيتٍ أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا) وهو حفيد الذي وصِف بأنه **(ما ينطق عن الهوى)**، ونلحظ السؤال بقوله **(خط الموت على ولد آدم)** ولم يقلْ**(على الناس أو البشرية)** لماذا لم يحملْ خطابه مفردة غير التي وردت في السياق ؟

ألا يحمل هذا بعداً معرفياً بالأصل الأول آدم وأولاده (هابيل وقابيل)، ولكونه سيموت مظلوماً لا ظالماً وبأنّ الموت الذي سيلقاه له أبعاد أُخر نتأوّلها من السياق.

- **وهذا النسق يقدم صورة معرفية.**

يُقدِّم الإمام صورة أخرى لهذا النسق الجمالي الذي نحاول اثباته وهو قوله: **(وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب الى يوسفَ)** صورة العشق الذي أذهب ببصر يعقوب بنتيجة الفراق، وكأنه يخط طريقاً نحو الموت أساسه وموجهه الرئيس هو العشق وكأن الموت التقاء الحبيب بمَنْ يُحب فهذا نسق مغاير للمتعارف عليه في الثقافة الإسلامية بأن الموت فراق الأحبة وفقدان الألفة التي جناها الانسان في حياته، وقال ما أولهني إلى اسلافي، أسلافه غير عامة البشر وهذ ما أكد اشارته **(خط الموت على (ولد آدم))** اشتياقه لولد آدم لا البشر!!.

- **وهذا النسق يقدم تجلي الموت باللقاء.**

ومن ثم يعرض الإمام بعد اللوحتين السابقتين مصيره المحتوم فيقول: **(وخيرَ لي مصرعٌ أنا لاقيهِ، كأنّي بأوصالي تُقطَّعها عسلان الفلواتِ بين النواويس وكربلاء ، فيملأنَّ مني أكراشاً جوفاً وأجربةً سُغباً)** وهذا المصير يختلف بالاختيار وهذا يشير بقصدية الفعل(الموت) ومعرفة المآل (طريق الموت) فهو أمام مفترق طرق كان بإمكانه الاستجابة لما يريده الاخر والانتهاء من هذا المآل هذا ما قد يسأله سائل لماذا لم يتجه صوب الاختيار الآخر وهذا يُردُّ من جانبين

الأول قدمه الامام بدءاً بقوله مخاطباً أخاه محمد بن الحنفية **((يا أخي! لو كنتُ في بطنِ صخرةٍ لَاستخرجوني منها فيقتلوني))** فهو مقتول لا محالة لأسباب قَبْلية/سابقة [8] والثاني هذا يتناقض مع مبادئ الإصلاح التي رفعها رسول الله (صلى الله عليه واله) ورفعها الامام الحسين بقولهِ وفعلهِ **((وأنّي لم أخرجْ أشراً، ولا بطراً، ولا مُفسداً، ولا ظالماً، وإنّما خرجتُ لِطلبِ الإصلاحِ في أُمّةِ جدّي))**[9] ومصير مَن يتصدى لهذه المهمة يضع جميع الاحتمالات نصب عينيه، ثم يتثبت الامام من مصيره ليوضح ما سيحل به (نفسه) توكيداً (بأوصالي) وإشارة الى أهل بيته لأنهم جزءاً منه وهذا يوضح المتتالية النسقية من الايمان والمعرفة واللقاء.

- **فالنسق هو توكيد وتحقيق.**

ثمّ يُقدِّم الإمامُ صورةً أخرى للتجلي المعرفيّ **((لا محيصَ عن يومٍ، خُطَّ بالقلمِ))** فاليوم المعلوم والموعد المرتجى خُط باللوح فالواقعة واليوم الموعود إلهي والتخطيط والتنفيذ بشري وهنا يتجلى الايمان واقعاً من قبل الامام والتنفيذ والولاء من الاصحاب وهذا يؤكده بداية كلامه عليه السلام (لا محيصَ) بلا النافية للجنس وحذف خبرها توكيداً آخر، وهذا يؤكده قول الامام مخاطباً جابر بن عبد الله: **((وإني أيضاً أفعلُ بأمرِ الله تعالى وأمر رسولهِ))** إشارة الى قيامه بالثورة وإشارة الى صلح الامام الحسن عليه السلام بأنهم مأمورون بالخروج من الله ورسوله ووليه.

ثمّ يثبت الإمام قرابته وصلته بالرسول بقولهِ **((رضى الله رضانا أهل البيتِ، نصبرُ على بلائِهِ ويوُفّينا أُجورَ الصابرينَ))** فهو لا يفارقُ القرآن ومكانته النبوية بالقرب من الرسول والسير على نهجه وهذا فيه جانب نسقي قرآني فهم المؤمنين الذين خصهم الله تعالى بقوله: **((الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ 17))** [10] ثم يثبت الإمام اختصاص الآية المباركة بهم وهم الصابرين الذين ذكرهم الله في محكم تنزيله، فهذه الصفات مجتمعة لا تكون لأحدٍ من المسلمين وإنّما لطائفة خصّها الله من المؤمنين وهم أهل بيته **(الذين أذهب الله عنهم الرجز وطهرهم تطهيرا)** ونستدل بهذا بأنهم الثقل الذي جعله الله ملازماً لقرآنه

([8]) كثير ما يشار لهذا الموقف المضاد هو الخصومة لآل ابي طالب وثأراً من الامام علي ومواقفه من ال ابي سفيان.

([9]) من وصيته لأخيه محمد بن الحنفية.

[10] آل عمران، الآية 17.

على لسان نبيه: **(إني تارك فيكم الثقلين ، أحدهما أكبر من الآخر ، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، وأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض))**[11].

- **فالنسق نسق يقين وإيمان.**

ويستبصر الإمام عليه السلام برؤية استشرافية ملؤها اليقين بقوله: **((لن تشذَّ عن رسول اللهِ (صلى الله عليه واله وسلم) لُحمتُهُ، وهي مجموعةٌ لهُ في حظيرة القدسِ، تقرُّ بهم عينهُ وينجزُ بهم وعدُهُ))** فمصيره ومَن معه كأنّهم جسداً واحداً يعرضون أمام الرسول في ساحة المحشر **(حظيرة القدس)** فيباهي الخلائق بهذه الثلة المؤمنة المتيقنة التي حققت جوهر رسالته، ونشرت راية الإصلاح رغم القلة وكأن الإسلام يبعث من جديد لذا قيل **(الإسلام محمدي الوجود حسيني البقاء)** باستدلالي ثقافي بعدي/لاحق فلو لم تكن واقعة كربلاء لكان الإسلام اسمه موجود وحقيقته مفقودة، كباقي الأديان الأُخر.

هذا نسق استبصار ويقين من خلال القرآن والسنة.

""(350)- 133- الإربلي: وخطب عليه السلام فقال:

إنَّ الحلمَ زينةٌ، والوفاء مُرُوءةٌ، والصلةُ نعمةٌ، والاستكبارَ صَلَفٌ، والعجلةَ سَفَهٌ، والسَّفهَ ضعفٌ، والغلوَّ ورطةٌ، ومجالسةَ أهلِ الدناءةِ شرٌّ، ومجالسةَ أهلِ الفسقِ ريبةٌ [12]""

من توالي خطب الامام المسجلة في وقت خروجه من مكة هذه الخطبة التي يحدد فيها صفات/ثنائية (الحلم، والوفاء، والصلة) التي هي صفات المؤمنين مع تجلي مكنوناتها وهي: (الزينة، والمروءة، والنعمة) مع نفي الصفات الأُخر عنهم (الاستكبار، والعجلة، والسفه، والغلو،

[11] الراوي: زيد بن أرقم –خلاصة الدرجة: صحيح –المحدث: الألباني –المصدر: صحيح الجامع –الصفحة أو الرقم: 2458، وينظر كذلك: لراوي: أبو سعيد الخدري –خلاصة الدرجة: حسن غريب –المحدث: البغوي –المصدر: شرح السنة –الصفحة أو الرقم: 206/7، وينظر كذلك: الراوي: زيد بن أرقم –خلاصة الدرجة: حسن غريب –المحدث: الترمذي – المصدر: سنن الترمذي –الصفحة أو الرقم: 3788، وينظر: لراوي: زيد بن ثابت –خلاصة الدرجة: إسناده جيد –المحدث: الهيثمي –المصدر: مجمع الزوائد –الصفحة أو الرقم: 165/9

[12]) موسوعة كلمات الامام الحسين عليه السلام: 398، ومصادره هي: كشف الغمة 2: 30، الفصول المهمة:169، نور الابصار 138، معالي السبطين 1: 251، وفيه: وخطب عليه السلام بعدها (الخطبة المتقدمة) هذه الخطبة.

ومجالسة اهل الدناءة، ومجالسة أهل الفسق) فهم أبعد عن (الصلف، والسفه، والعجلة، والورطة، والشر، والريبة) وكأنه يحدد المعسكرين(الخير/الشر).

- **فالحسين وأصحابه هم نسق قرآني تتجلَّى فيهم القيم القرآنيَّة والنبويَّة لذا هم طريق الحق وممتثليه.**

""(351)-134- ابن عبد ربّه:

قال الحسين عليه السلام **((الصلاة في الجماعة أفضل))**[13]""

هنا الإمام يسير برسالته بيقين محض وبتعاليم الإسلام ليثبت للآخر المخالف/ الضد/ المنكر/ أنَّه على شريعة جده فيقوم بالصلاة جماعة دون الفرادى زيادة في الأجر والثواب وتماسكاً للحمة المسلمين وجمعهم على أصول الدين وعدم تفرقتهم مثلما ادعى المخالفون.

فالنسق نسق وحدة وتلاحم بين النسيج الإسلامي.

""(352)-135- السيد ابن طاووس:

في محاولة محمد بن الحنفية تحذيره من أهل الكوفة ومحاولة إقناعه بأن يُقيم في مكة (أي يبقى في الحرم فهو أعزّ وأمنع) فأجابه عليه السلام:

((يا أخي! قد خِفْتُ أنْ يغتالني يزيد بن معاوية في الحرم، فأكون الذي يستباحُ به حرمةُ هذا البيت))[14]"".

أسلوب النداء (يا أخي) في جواب الإمام لأخيه وهو قريب منه يُؤكد ما يذهب إليه الإمام مِن شكٍّ بحرمة البيت ويقين بالقادم (وهو استشهاده) الذي يريد تحذيره منه مُتعجباً تعجبًا ضمنيًّا بالأداة (!) مُردفاً القول بأداة تؤكد الفعل الماضي تحقيقاً (قد خفت).

الحوار الذي ينتج بين الإمام وبين أخيه هو للمنع /التحذير/العدول عن الخروج والبقاء في حرم الكعبة؛ لأنَّه مُحرَّمٌ أن يسفك فيه الدماء وكذلك فهو أمان وملجأ للجميع وكذلك لوجود الأنصار للإمام.

([13]) موسوعة كلمات الامام الحسين عليه السلام: 398، ومصدره العقد الفريد 4: 353.

([14]) إشارة في كلام الامام عليه السلام مع ابن الزبير قوله: إن أبي حدثني: إنَّ بها كبشاً يستحلُّ حرمتها! فما أُحبُّ أَنْ أكونَ أنا ذلك الكبشُ !)) ينظر: تأريخ الطبري 3: 195، وقعة الطف

يأتي جواب الإمام المتصل بالتبصر والتوقع لما سيؤول اليه مصيره لو بقي فيجيبه بأنه سيقتل ولو مكث في جوف الكعبة لأنه أمام الموت فقط ولكن هو/الامام مَن سيختار طريقة الموت بالدلالة السابقة (وخيرَ لي مصرع أنا لاقيه) وأنه لو بقي في الكعبة فسيكون المُباح دمه بلا شك، ومصداقاً لقول الامام ((واللهِ لَيعتدُنَّ عليَّ كما اعتدتِ اليهودُ في السبتِ))[15].

- **فالسياق النسقي لردِّ الامام سياق اختيار ورفض للواقع.**

وهذا يؤكده قول الإمام اللاحق بالاستعجال للخروج الى مصيره:

وفي ردٍّ له على محمَّد بن الحنفية في استعجاله الخروج الى كربلاء:

""فقال عليه السلام: أتاني رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) بعد ما فارقتك، فقال: يا حسين اخرجْ فإنَّ الله، قد شاء أنْ يراك قتيلاً"".

وفي هذا إشارة إلى رؤياه للنبي [16] عليه الصلاة والسلام في منامه قبل خروجه من المدينة فينبئه بمصيرهِ وما يحل به وأهله.

- **وهذا السياق يشير الى حتمية المصير ومعرفة القادم.**

وأجابه عن معنى حمله للنساء للخروج معه:

""قول الرسول صلى الله عليه واله وسلم: إنَّ اللهَ قد شاء أنْ يريهنَّ سبايا[17]"".

هو مأمور بحمل النساء كجزء من إلقاء الحجة وإرادة السلم وعدم الجنوح للحرب ولبيان صفات الآخر المعادي الذي يخرج عن الإسلام بأفعاله وقيمه.

- **نسق تتابعي يبغي منه الإمام إلقاء الحجة وتعرية الآخر.**

---

[15]) تاريخ الطبري 3:295، والكامل في التأريخ 2 :546، عز الدين أبي الحسن علي بن ابي الكرم الشيباني (ابن الاثير) ، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1404هـ. وتاريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام الحسين عليه السلام):212 في هامشهِ، وينظر: وقعة الطف: 152.

[16]) ينظر: الفتوح 5 :20، مقتل الحسين للخوارزمي 1: 186، بحار الانوار 44 :328، مدينة المعاجز 4:483، العوالم 17: 177، العيون العبرى: 20.

([17]) موسوعة كلمات الامام الحسين عليه السلام: 399. ومصادره: اللهوف: 27، بحار الانوار 44 :364، العوالم 17 :314، أعيان الشيعة 1: 593، معالي السبطين 1: 251،

وقول الحسين مخاطباً محمد بن الحنفية **((يا أخي! لو كنتُ في بطنِ صخرةٍ لَاستخرجوني منها فيقتلوني))** وعلى رواية **((يا أخي! لو كنتُ في جُحْرِ هامةٍ من هوامِّ الأرضِ، لَاستخرجوني منه حتى يقتلوني))** [18].

إنَّ ما يريده يزيد واتباعه ليس بيعة الحسين بالمطلق وليس جلوس الحسين في داره وركونه عن الخلافة، وإنما الأمر هو وجود الحسين يشكل تهديد وعدم استقرار لحكمهم لكونه الوارث الشرعي للخلافة ولأن الناس على يقين من أنه الامام المفترض الطاعة، وإن وجوده سيفضح ويعري البيت الأموي ويهد أركانه بكشف الزيف وعدم مناسبة الحاكم/يزيد للحكم لتناقضه مع صلح الامام الحسن عليه السلام فحتماً سيكمل مسيرة أخيه/الحسن الإصلاحية فلا بدَّ من انهاء وجوده لتستقر دعائم حكمهم.

–فنسق الموت حاصل لا محالة ولكن الإمام قد أختطَّ طريق الموت بالشهادة وإلقاء الحجة.

قراءة لغوية جمالية

لأسلوب التوكيد في خطاب الإمام:

دلالة التوكيد في الجملة الخبرية للإمام عليه السلام فيها من الطاقات ذات المنحى الجمالي ما يغني النص، ويراعي قصدية المتكلم ورسالته في مراعاة أحوال المستمعين والقاء الحجة عليهم، لذا فالتنوع في خطاب الامام له جانبين وظيفة تنبيه وتدبر وحجّة على المتلقي، وجانب التنوع والكثرة وما يحيله من جمال كلامي.

نجد استخدام الامام للمؤكدات اليقينية المعنوية بقوله:**(ما شاء الله)** بكثرة ويردفها بقوله: **(ولا قوةَ)** لا النافية للجنس المؤكدة بنفسها أولا يقيناً وبلا انقطاع وبحذف خبرها زيادة للتوكيد، ثم العموم والشمول بقوله **(على ولدِ أدم)** بأنَّ الجميع سواسية في هذا المصر، ثم ضمير الفصل**(أنا لاقيه)** زيادة في ذاتية الإيمان ويقيناً بالمكتوب القادم، ومن ثمَّ الأداة **(كأنّ)** التي يحوَّل وظيفتها النحوية إلى وظيفة بلاغيَّة تشبيهيَّة جماليَّة بإلقاء دائرة الفعل على ذاتيته.

وقوله **(فيملأنَّ)** نون التوكيد الثقيلة المتصلة بالفعلة دلالة على ما سبق ذكره بقصدية الفعل الذي يقع له مع توالي المفردات النصوصية اللاحقة بالتنوين يعطي امتداد صوتي لنونية الفعل المؤكدة، ومفردة **(محيصَ)** المسبوقة بـ**(لا)** التي تنفي جنسية / الما عدا/ الواقعة، ثم

([18]) موسوعة كلمات الامام الحسين عليه السلام: 399. ومصادره بحار الانوار 45: 99، المنتخب للطريحي :424.

تأتي **(لن)** المستقبلية في إشارة إلى الوقوف بحظيرة القدس مع الرسول ومحاسبة الخلائق على فعلتهم الحاصلة بنفسهِ كون الحسين جزءاً منه، مع تقديم شبه الجملة **(بهم)** في موقعين **(تقرُّ بهم عينَهُ وينجزُ بهم وعدَهُ)** على المفعول به إشارة الى أهميتهم ومكانتهم في ذاته، مع ايضاحاً بالتوكيد المعنوي **(نفسه)** إشارة إلى اللقاء بالرب ليوفيهم اجورهم **(أجور الصابرين)**، ويختمها بالإشارة الى نفسه **(فإنّي راحلٌ مُصبِّحاً)** إلى أن الخروج في دائرة فعله هو دون غيره ليثبت الحجة على الأمة.

ونجد تكرار الجملة الاسمية المؤكدة **(بإنَّ)** في الخطبة التالية **(إنَّ الحلمَ زينةٌ)** تسعُ مرات يوحي بالحركة والتتابع ودوام استمرار الحدث من المتكلم للمخاطب مع جماليتها ونسقها التواصلي المستمر وهذا يوحي بالطلاقة وإمكانية القول مع فاعلية الحدث في حياة الامام.

وكذلك استخدام الإمام لاسم التفضيل في النص الرابع **(أفضل)** رمزاً وواقعاً يوحي بالمفاضلة واكتمال الصفة للصلاة في وضع الجماعة مع حذف الصفة الأخرى **(الفرادى)** يوحي بالتماسك النصي لقول الامام.

وإجابته:**((واللهِ لَيعتدُنَّ عليَّ كما اعتدتِ اليهودُ في السبتِ))**. فالقسم بلفظ الجلالة مسبقاً إياه بالواو مع لا التوكيد الداخلة على الفعل المضارع ثم نون التوكيد الثقيلة يثبت واقعه القادم كفعلة اليهود في السبت فهذا التقابل بين فعلهم وفعل اليهود إشارة الى مخالفتهم امر الله وامر رسوله بيقين.

وتأتي **(قد)** لتحقق الفعل الاستباقي للأحداث مع التأكيد بقول الرسول في رؤياه بقوله: **(قد شاء أنْ يراك قتيلاً)**.

ويمتثل الامام بالنسق التوكيدي مجدداً **(إنَّ اللهَ قد شاء)** لتعطي دلالة تزيد من القول السابق. فالجمالية التي يبرزها الامام هي جزء من جمالية الروح التي تعلو على من سواها لحيثيات تخصّه نفسه، لذا استخدم التوكيد كجزء من هذه الجمالية لإقناع وتنبيه المخاطب.

الخاتمة:

نستنتج من مجموع البنى التي شكَّلت النسق العام لخطاب الإمام أنَّه خطابٌ كُلي مجتمعي حاول مِن خلاله إثبات الحُجّة والبرهان، وإقامة الدليل على مَن عاصره بالدرجة الأولى مجموع الناس باختلاف توجهاتهم العقديَّة والمصلحيَّة، وباتجاه الحكام (مَن يمثل بني أمية) وباتجاه مَن يلزم الصمت، ويغض الطرف.

- ووجدنا خطاب الامام خطاب ايمان ويقين (تمثَّل بأدائه لفريضة الحج وجعلها عمرة للأسباب المذكورة).
- ومن ثمَّ قدَّم صورةً معرفيَّةً لحقيقة الموت حين مثّله (بالعقدِ على جيدِ الفتاةِ).
- ليتجلّى بعد ذلك رسوخاً بالتجلي والاشتياق للموت (وما أولهني الى اسلافي).
- ومن ثمَّ يُؤكد ويحقِّق سبب خروجه (لطلب الإصلاح مستنيراً برسالة جده عليه أفضل الصلاة والسلام).
- ثم نجد اليقين والايمان بالخروج ليلقون أجورهم التي وعدهم الله بها وهي ما وعد الله عبادهِ المؤمنين(أجور الصابرين).
- وكذلك محاولته الفعلية بتلاحم المسلمين بقوله (صلاة الجماعة أفضل).
- ثم يُبيّن الإمام اختياره ورفضه لواقع المسلمين على يد الحكام الفاسدين بقوله (وخيرَ لي مصرعٌ أنا لاقيه).
- ويُبيّن الإمام استشرافه للقادم ومعرفة المصير برؤيته للنبي صلّى الله عليه واله في منامه.
- وبعدها قيام الإمام بدءاً بتعرية المُخالف وإثبات جوهر خروجه باصطحابه لأهله وعياله.
- ويستتبع الإمام بأنَّ الموتَ حاصلٌ لا محالةَ وبالشهادة.
- ليُقدِّم الإمام خطاطة الجمال المعرفيّ والإيمانيّ والاستشرافيّ لمصيره ولأهل بيته، ويقدم نسق جديد للموت قد خالف فيه العقيدة العربية وتفرد بنسق ايماني ومعرفي قرآني علا فيه على الموت بذاته وبمَن حوله، بكونِ الموت هو الوجه المقابل للحياة أي وجهها الآخر، أيّ كون الموت مخلوق له وجوده المستقل أولاً وارتباطه بالحياة ثانية وفق جدلية المعرفة والايمان.
- مع تخلص انفرادي تركيبي في خطاب الامام اختص بأسلوب التوكيد بكثرة وتنوع ليؤدي وظيفة تنبيه وتحذير، ووظيفة جمالية أخرى تدعم السياق العام للبحث.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- أعيان الشيعة، محسن الأمين العاملي، تحقيق: حسن الأمين، مطبعة ابن زيدون، دمشق، 1965م.
- تاريخ ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسين ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي، دراسة وتحقيق: محب الدين أوب سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر، 1995م.
- تأريخ الطبري3:295، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت310هـ، دار الكتب الإسلامية بيروت، 1304 هـ.
- ديوان عمرو بن قميئة، عني بتحقيقه وشرحه: خليل إبراهيم العطية، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط2، 1997.
- شرح أشعار الهذليين، أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مراجعة: محمود أحمد شاكر، مكتبة دار العروبة، ط1
- العقد الفريد، ابن عبد ربه الاندلسي(ت 328هـ)، المحقق : محمد مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، 1983م.
- العيون العبرى في مقتل سيد الشهداء، ابراهيم ميانجي، المكتبة الرضوية، طهران، 1959م.
- الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي، تحقيق: علي شيري، د. مط، ط1، 1411هـ.
- الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ابن الصباغ المالكي،تعليق سامي الغريري، دار الحديث، ايران- قم، 1379هـ.
- الكامل في التأريخ، عز الدين أبي الحسن علي بن ابي الكرم الشيباني (ابن الاثير) ، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1404هـ.

- كشف الغمة في معرفة الأئمة، أبي الحسن عيسى بن سليمان الإربلي،دار الأضضواء، بيروت، د.ت.
- اللهوف على قتلى الطفوف، السيد رضي الدين ابن طاووس، مكتبة الروضة الحيدريَّة، د.ت، 1321هـ.
- مثير الاحزان، ابن نما الحلي، مدرسة الإمام المهدي، إيران، 1963هـ.
- المحدث: الألباني –المصدر: صحيح الجامع
- المحدث: البغوي –المصدر: شرح السنة
- المحدث: الترمذي –المصدر: سنن الترمذي
- المحدث: الهيثمي –المصدر: مجمع الزوائد
- مدينة المعاجز، السيد هاشم البحراني، مؤسسة النعمان، النجف الأسرف، 1991م.
- معالي السبطين في أحوال الحسن والحسين، الشيخ محمد مهدي الحائري، مؤسسة النعمان، بيروت، 1986م.
- مقتل الحسين للخوارزمي، موفق بن أحمد المكي مكتبة المفيد، إيران، 1998م.
- موسوعة كلمات الامام الحسين عليه السلام، معهد تحقيقات باقر العلوم منظمة الاعلام الإسلامي، دار الاسرة للطباعة والنشر، ط1، 1425هـ
- نور الابصار في مناقب ال النبي المختار، مؤمن بن حسن الشبلنجي الشافعي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، د.ت.
- وقعة الطف، أبو مخنف لوط بن يحي الأزدي الغامدي الكوفيّ، ت158هـ جماعة المدرسين.